المعلومات المصورة للشباب

قناة السويس

وافتتاح الأوبرا



اللوحات والإعداد الفنى

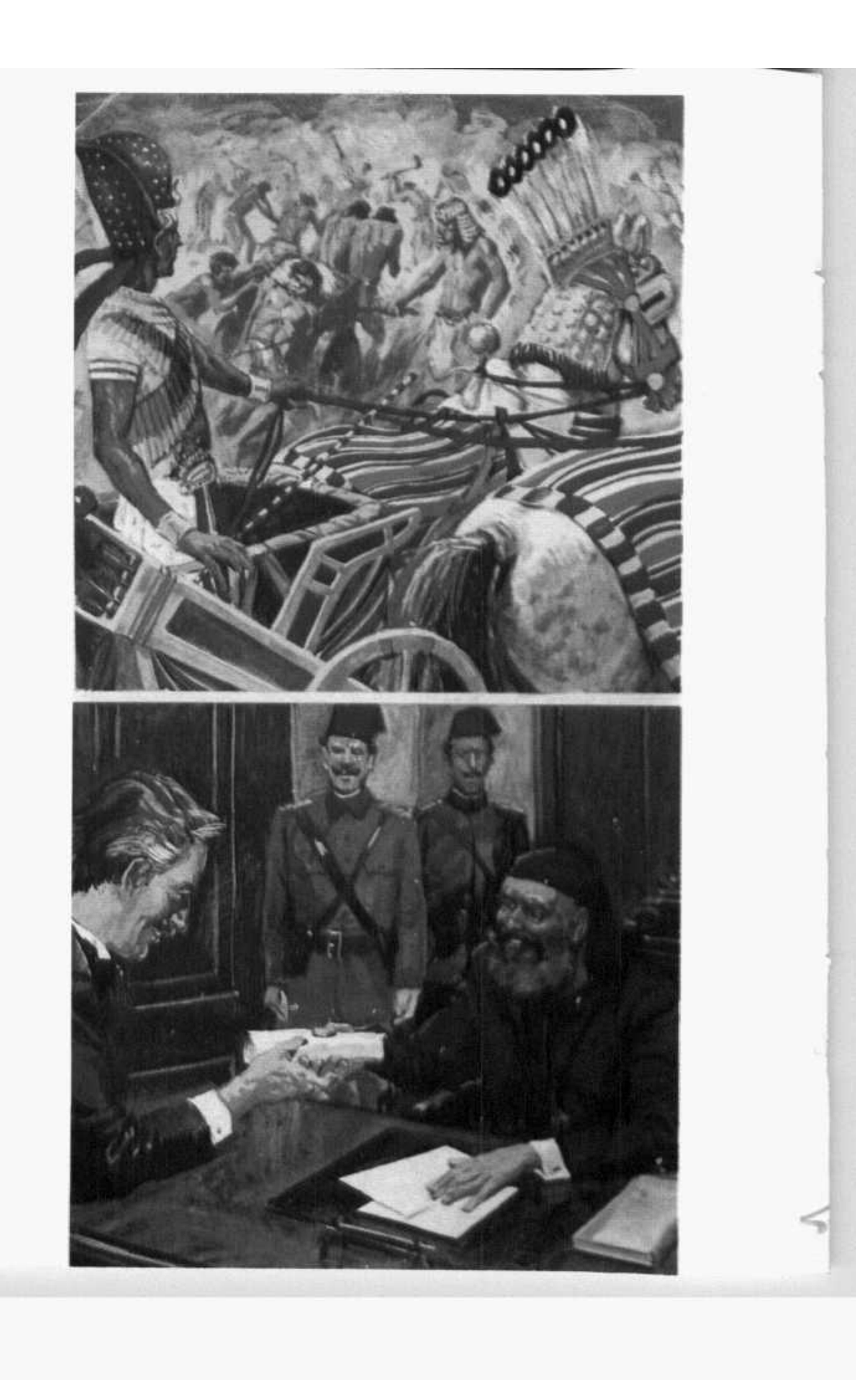
جمال قطب

المادة العلمية

د . هبة جمال

كان مشروع الممر المائى الذى يربط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر قد بدأ التفكير فيه منذ آلاف السنين فى عهد الفراعنة ، أما الاهتمام به كمعبر يقترن بالهيمنة والنفوذ من الدول الاستعمارية الكبرى ، فقد ظهر واضحا فى العصر الحديث منذ عهد لويس الرابع عشر ووزيره «ريشليو» ، ثم فى فترة الثورة الفرنسية التى اندلعت عام ١٧٨٩ حينما رأينا فلاسفة الثورة من أمثال « مونتيسكيو» يُعنون بأمر مشروع القناة ، مما أزعج السلطة العثمانية التى كانت تسيطر علي بلادنا آنذاك ، فأصدرت فرمانا تحذر فيه السفن الأوروبية من الاقتراب من ميناء السويس لأن « بحر السويس هو الطريق إلى الحج وزيارة بيت اللّه الحرام فى مكة المكرمة »!

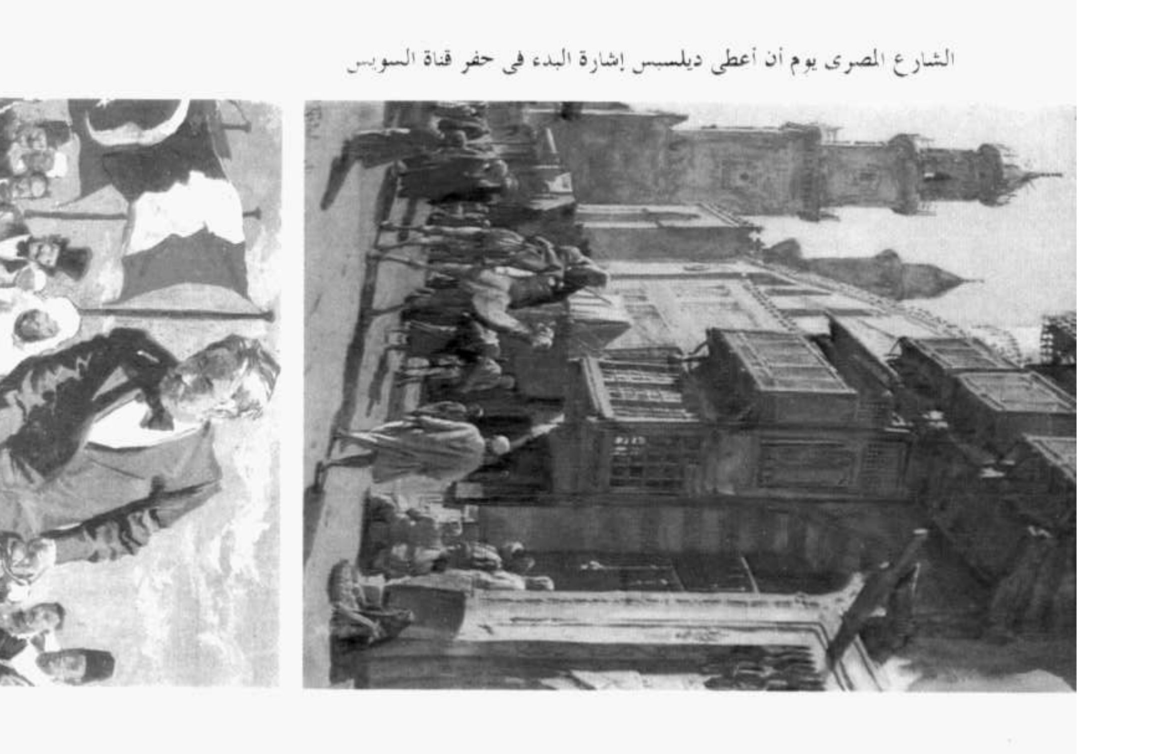
- وبعد أن كان ما كان من أمر الحملة الفرنسية على مصر ورحيلها عائدة إلى بلادها ، سُلمت ولاية مصر إلى محمد على باشا ، حيث توطدت الصلات بين القاهرة وباريس ، وأوفد الفرنسيون إلينا بعثة اسمها « جماعة سان سيمونيين » يبحثون مشروع القناة ، لكن محمد على رفض أن يمنح امتياز حفر القناة لجهة أجنبية بعينها ضمانا لحيدة مصر واحترام هذا الحياد من كافة دول العالم . . فكيف استطاع « فيرديناند ديلسبس » أن



ينجح أخيرا فى استمالة قمة الحكم بذكائه ودهائه ، وأن يحقق ما لم يستطع أن يحققه غيره من قبل ؟!

- ولد فرديناند ديلسبس فى ١٩ نوفمبر من عام ١٨٠٥ ، وعمل والده مستشارًا لمحمد على حيث صار من أهم خلصائه المقربين ، وعندما بلغ فرديناند السابعة والعشرين من عمره عُيّن قنصلاً لفرنسا فى الإسكندرية ، ثم رُقّى بعد خمس سنوات ليصبح قنصلاً عاما .. وكان محظوظا فى صلاته الوثيقة وصداقاته العديدة لكبار الشخصيات فى باريس والقاهرة لسببين أساسيين هما : قرابته للإمبراطورة أوجينى فى فرنسا فهى ابنة عمه ، ومكانة والده بين أسرة محمد على فى القاهرة . ولم يكن لديه أية دراية بالأعمال الهندسية أو المؤسسات المالية ، ولكن جذوة الحماس لأن يفوز بامتياز حفر قناة السويس قد اشتعلت فى نفسه وملكت عليه كل تفكيره عندما أصبحت أوجينى إمبراطورة فرنسا وزوجها نابليون الثالث مهتمين اهتماما خاصّا بمشروع القناة .
- ومن موقع الحصانة والنفوذ أخذ يتفانى فى استرضاء وكسب ثقة الأسرة الحاكمة فى مصر .. فأقام جسورا

الشارع المصرى يوم أن أعطى ديلسبس إشارة البدء فى حفر قناة السويس

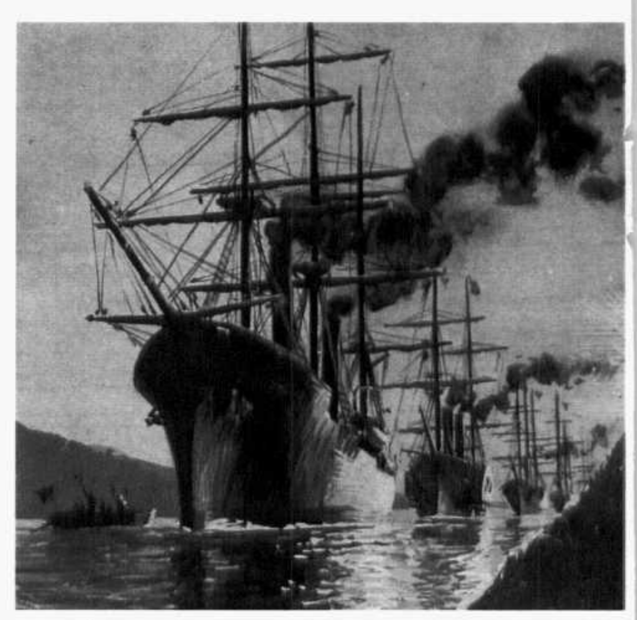


من الصداقة الشخصية المتينة بينه وبين محمد سعيد باشا الذى كان وليا للعهد لابن أخيه الخديو عباس بن إبراهيم بن محمد على . وبعد موت الخديو عباس ، ارتقى الحكم من بعده محمد سعيد ، وبذلك سنحت الفرصة التى طالما انتظرها فرديناند ليحقق أمنيته على يد صديقه الخديو الجديد بعد أن صارت كل الظروف مواتية لتحقيق أهدافه لكى يحصل على ما يريد ... وهكذا فاز بامتياز حفر القناة بعد أن قدم للخديو كافة الدراسات التى حصل عليها من شتى الجهات وبكل الوسائل .

• واعترضت بريطانيا على هذا المشروع بدافع العداء والتنافس التقليدى بين الإمبراطوريتين العظيمتين ، وكذلك احتجت القسطنطينية وتصارعت المؤسسات المالية .. ولكن هذا كله لم يُثن ديلسبس عن عزمه فى تحقيق أعظم مشروع هندسى فى العالم خطط له باستماتة منذ زمن بعيد !

• أما مصر ، فقد كابدت الألم والسخرة والانصياع لقوى القهر الكبرى .. وأُثقِلت الخزانة بالديون التى بلغت وقتها ٤٢٣ مليون فرنك فرنسى ، أى ما يعادل نحو سبعة عشر مليونا من جنيهات ذلك الزمان ! وظهر للعيان هذا التناقض الحاد بين بذخ الخديو إسماعيل (الذى

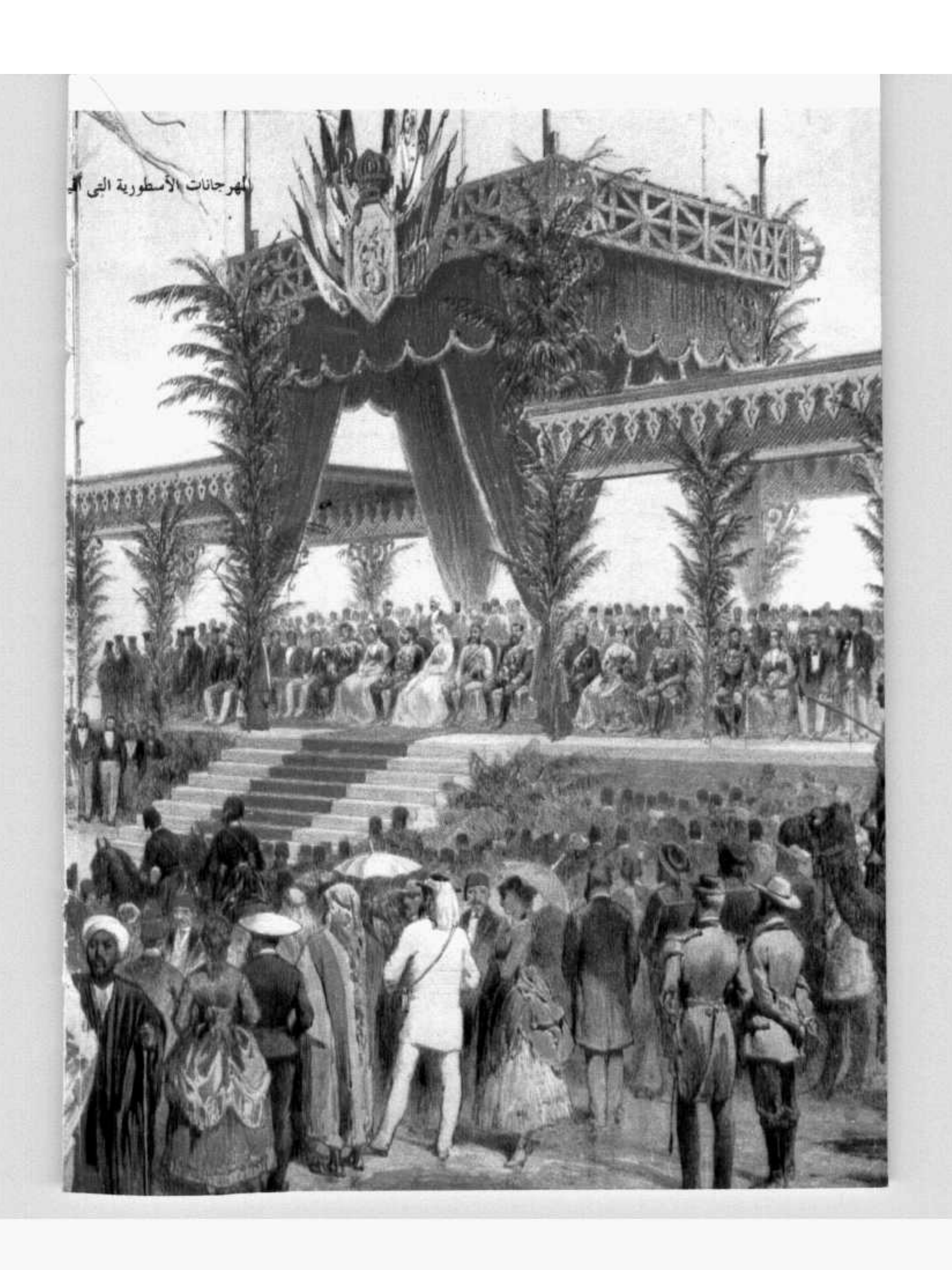


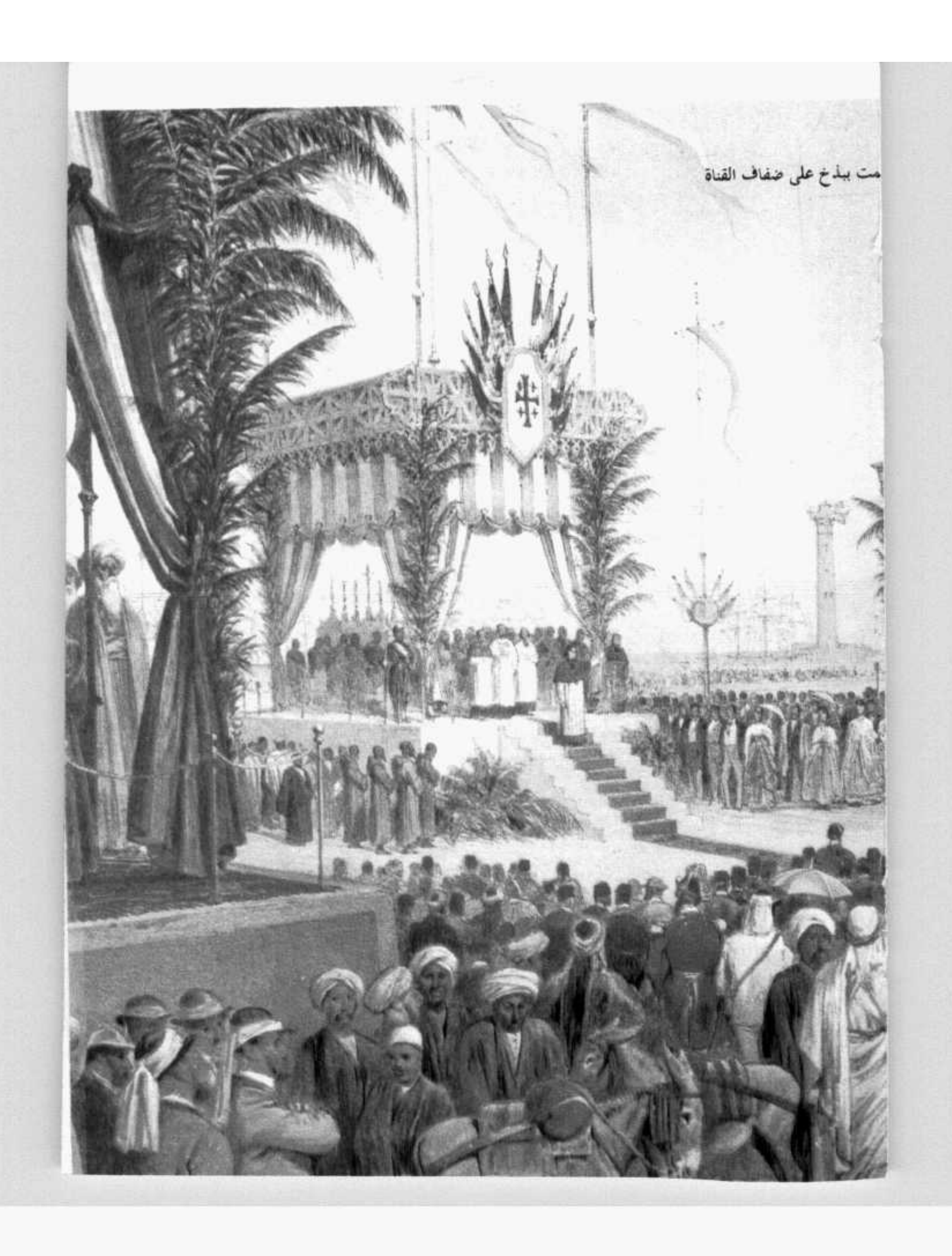


منذ افتتاح قناة السويس ، ظل تمثال ديلسبس منتصبا على مدخل القناة بورسعيد .. حتى عام ١٩٥٦ عندما أغرقه أبناء الشعب الثائر فى المياه بعد قرار التأميم .

تم حفر القناة وافتتاحها فى عهده) ، وبين وطأة الديون التى كانت تثقل كاهل الشعب الصابر الصامد .

• وكان أهم مظاهر هذا البذخ مهرجانات افتتاح القناة ، والموائد الأسطورية التى وصفتها كتب التاريخ بأنها أعظم الموائد فى العالم ! وشهد عام ١٨٦٩ احتفالات افتتاح القناة رائعةً زاخرةً بترف وسرف أذهل أوجينى إمبراطورة فرنسا فقالت عندما راعتها فخامة المهرجان «يا إلهى ! لم أر فى حياتى أروع مما تراه عيناى الآن ! »


المهرجانات الأسطورية التى

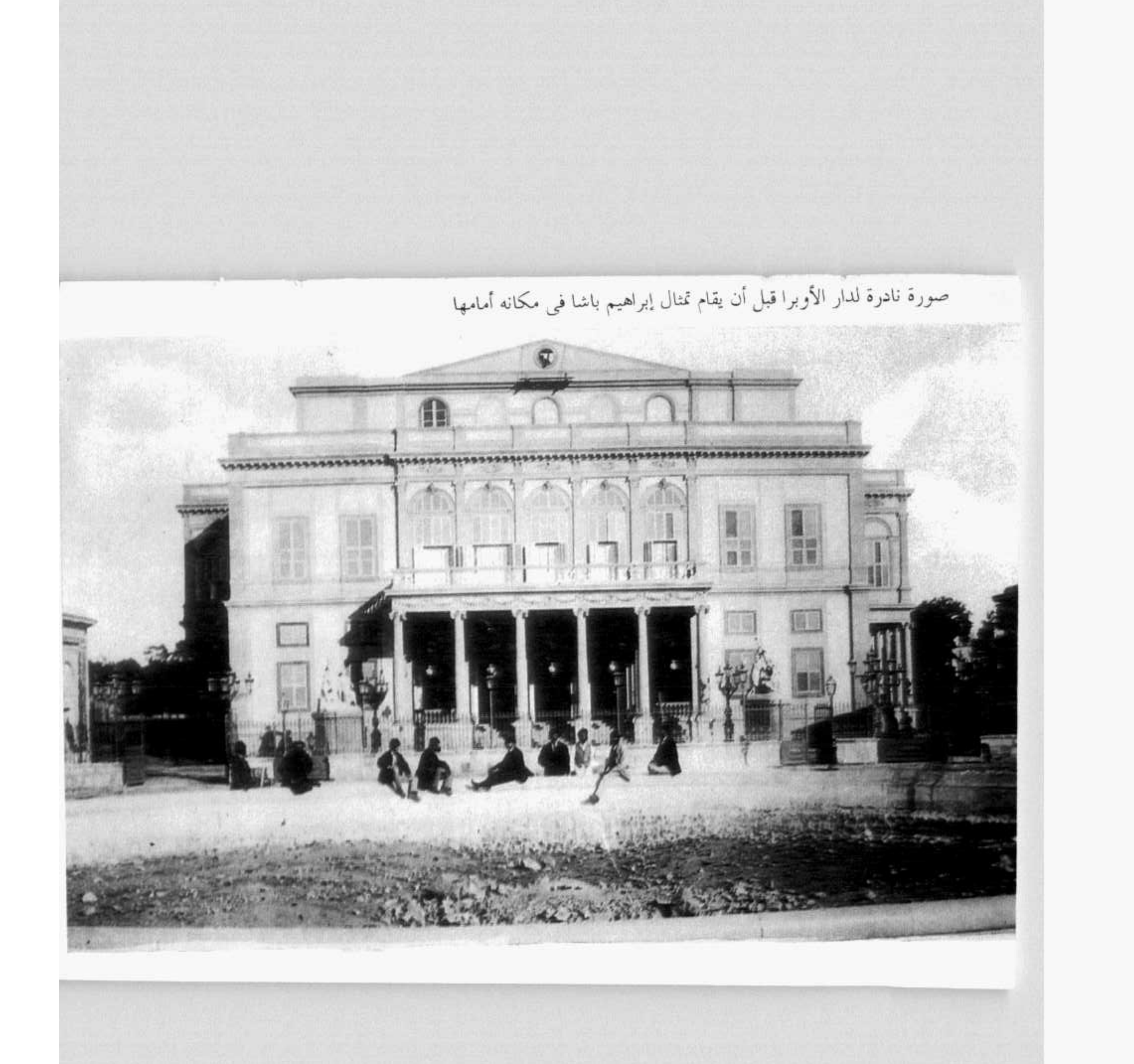


مت بذخ على ضفاف القناة

• وكان من الضـروري لاستكمال التأنق والتجمل فى عيون الضيوف الأجانب ، بناء دار للأوبرا فى عجالة على الطراز الإيطالى ، وأن تفتتح بإحدى الأوبرات لأشهر موسيقى فى العالم حينذاك وهو فيردى .

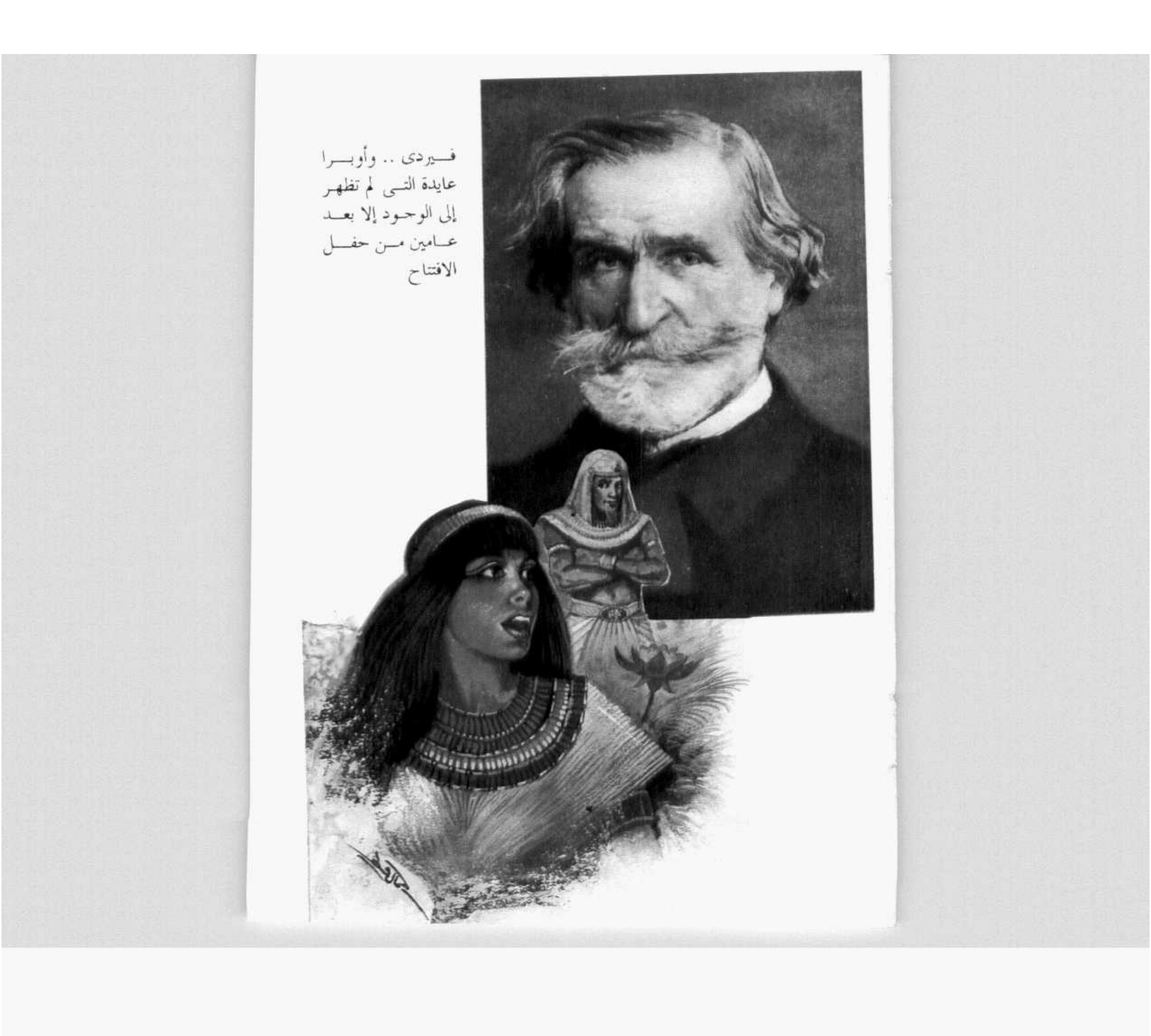
• ولأن الفكرة جاءت متأخرة فى زحمة الترتيبات والإنشاءات العديدة قبيل الافتتاح ، عهد الخديو إسماعيل إلى المهندسين الإيطاليين « فوسكاتى » و«روس» بتصميم وتنفيذ دار الأوبرا ؛ فقررا إقامتها على غرار زميلتها الإيطالية « سكالا دى ميلانو » التى تستوعب ٨٥٠ متفرجا غير المقصورات والصالونات والعديد من القاعات الأخرى . وفى سباق مع الزمن ، استقدم المئات من الفنانين والفنيين والعمال المهرة الأوروبيين ، وواصلوا الليل بالنهار فى العمل على مدى ستة شهور .. ولكن يوم الافتتاح داهمهم قبل أن يكتمل العديد من الحجرات والمخازن ، فأقاموا الخيام المؤقتة .. ثم استؤنف العمل بعد حفلات الافتتاح . وقد بلغ إجمالى نفقات دار الأوبرا مائة وستين ألف جنيه .. ولا يخطر ببالنا أن هذا المبلغ ضئيل ، لأن بناء قصر لعائلة محترمة فى تلك الأيام لا تصل تكلفته أكثر من

صورة نادرة لدار الأوبرا قبل أن يقام تمثال إبراهيم باشا فى مكانه أمامها



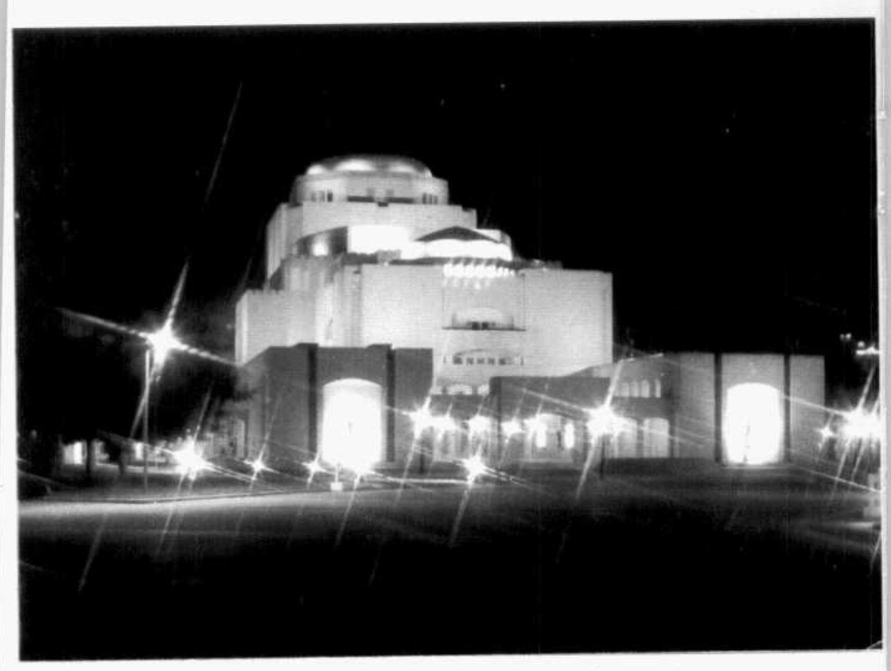
ثلاثين جنيها !! .... وجاء دور التفكير فى العمل الفنى الذى تفتتح به دار الأوبرا الجديدة ، فكلف الخديو إسماعيل « ماريت باشا » مدير الآثار المصرية بأن يدرس أوراق البردى ليبحث عن قصة تصلح لأن تكون موضوعًا لأوبرا عالمية .. وبعد البحث والتنقيب وجد ماريت بغيته فى قصة « عايدة » جارية الأميرة « أمنيرس » ابنة فرعون مصر .. فقد كان القائد الشاب راداميس يهيم بحب عايدة ، بينما كانت الأميرة أمنيرس تحبه وتتمناه لنفسها !

- وحدث أن وقع الاختيار على راداميس قائدا للحملة التأديبية إلى المتمردين الأحباش الذين عبروا الحدود المصرية من الجنوب ... وتكلل الحملة بالنصر الساحق على ملك الأحباش ، ويعود « راداميس » مصطحبا معه الأسرى وفى مقدمتهم ملكهم « أموناصرو » .
- ثم يكتشف القائد المصرى أن حبيبته عايدة هى ابنة الملك الحبشى الأسير ! وزاد من تعقيد الموقف أن فرعون قد كافأ قائده راداميس بأن قدم له يد ابنته « أمنيرس » لتصبح زوجة له ! وأمام هذه المفاجأة المذهلة يفاضل القائد بين واجبه الوطنى وحبه لفتاته .. وبعد أحداث ومواقف مثيرة ، يتغلب نداء العاطفة ويتحول القائد إلى خائن ويحكم عليه بالإعدام فى النهاية .



فــيردى .. وأوبــرا
عايدة التــى لم تظهر
إلى الوجـود إلا بعـد
عـامين مـن حفــل
الافتتاح

- وعلى الفور سافر ماريت إلى إيطاليا لمقابلة فيردى والاتفاق معه .. وأعجب الموسيقار الشهير بموضوع الأوبرا ، ولكنه اعتذر عن عدم تلبيته الرغبة الخديوية لضيق الوقت ، وطلب أن تعطى له فرصة عام كامل على أقل تقدير !
- ولإنقاذ الموقف ، اختار فيردى إحدى أوبراته التى تلعبها فرقة معروفة بإيطاليا وهى أوبرا ريجوليتّو Rigoletto .. وبالفعل كانت هى الأوبرا التى تم الافتتاح بها فى ليلة ٢٠ من نوفمبر عام ١٨٦٩ .. وهى رواية مقتبسة من مسرحية « الملك يلهو » لفيكتور هوجو .. أما أوبرا عايدة فقد أتمها فيردى على مهل .. وتم عرضها بدار الأوبرا المصرية بعد ذلك بعامين ، وترجع شهرتها إلى كونها دراما فرعونية ! مؤلفة خصيصا لمناسبة مصرية لحدث عالمى تحدثت عنه كتب الفن والتاريخ .
- وظلت دار الأوبرا تقدم العروض الفنية العالمية لأكثر من مائة عام حتى التهمها حريق كبير فى ليلة ٢٨ أكتوبر عام ١٩٧١ نتيجة لخلل فى النظام الكهربائى داخل المبنى .
- وفى العاشر من أكتوبر عام ١٩٨٨ افتتحت دار الأوبرا الجديدة « المركز الثقافى القومى » بحضور السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، وهى تحفة معمارية على



دار الأوبرا الجديدة .. هدية اليابان لشعب مصر

• الطراز الإسلامى الحديث صممها المهندس اليابانى كواشيرو شيكيدا ، وقد استغرق بناؤها ٣٤ شهرًا من العمل الدائب تحت إشراف المهندسين والفنيين اليابانيين .. بتكلفة إجمالية تقدر بثلاثين مليون دولار أمريكى .. هدية من اليابان للشعب المصرى . وما تزال قائمة شامخة بأرض الجزيرة على ضفاف النيل مركزا للإشعاع الثقافى الراقى والإبداع الرفيع .

رقم الإيداع ٥٢٣٢ / ٩٨
الترقيم الدولى : X - 1154 - 11 - 977

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة